النَّاسِ }: **محمد والمؤمنون يردون إليهم الخراج فيؤمنونهم**. وفي الكلام اختصار، يعني: إلاّ أن يعتصموا بحبل.

أبو محمد مكي بن أبي طالب – مالكي – (ت 437 هـــ)

قوله (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ) معناها: ألزم الله **المكذبين بمحمد الذلة** وهي الصغار

حيثما وجدوا، فهم تحت **أقدام المسلمين** لا منعة لهم فهم في ذلة وخوف (إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ) **أي بسبب من الله**. أو **بسبب من المؤمنين**، فإنهم يأمنون على أنفسهم، وذرياتهم. والذلة لا تفارقهم. والسبب هو العهد إذ عوهدوا.

أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت 538 هـــ)

{ بِحَبْلٍ مّنْ الله } والمعنى: ضربت عليهم الذلة في عامّة الأحوال إلا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس، **يعني ذمّة الله وذمّة المسلمين**، أي لا عز لهم قط إلا بهذه الواحدة وهي التجاؤهم إلى الذمّة لما قبلوه من الجزية { وَبَاءوا بِغَضَبٍ مّنَ الله} استوجبوه. {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ المسكنة} كما يضرب البيت على أهله، فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها، **وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه** {ذلك} إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبواء بغضب الله أي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء.

أبو محمد ابن عطية الغرناطي– مالكي – (ت 542 هـــ)

قوله تعالى: {ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا} كأنه بالمعنى هلكوا واستؤصلوا، فلذلك حسن أن يجيء بعده {إلا بحبل}، وقرب فهم ذلك للسامع. قال الزجّاج: المعنى ضربت عليهم الذلة إلا أنهم يعتصمون بالعهد إذا أعطوه. و«**الحبل** » **العهد**، شبه به لأنه يصل قوماً بقوم كما يفعل الحبل في الأجرام. و{باؤوا} معناه مضوا متحملين لهذا الحكم. و«غضب الله عليهم »، بما دلت عليه هذه الأمور التي

أوقع بهم، **وأفعال بني إسرائيل على وجه الدهر من التعنت والعصيان توجب الغضب، فلذلك خصوا به، والنصارى إنما ضلوا فقط**

أبو عبد الله القرطبي – مالكي – (ت 671 هـ)

قوله تعالى: " ضربت عليهم الذلة " يعني اليهود. " أينما ثقفوا " أي وجدوا ولقوا، وتم الكلام. وقد مضى في البقرة معنى ضرب الذلة عليهم " إلا بحبل من الله " استثناء منقطع ليس من الأول. أي لكنهم يعتصمون بحبل من الله " وحبل من الناس " **يعني الذمة التي لهم. والناس: محمد والمؤمنون يؤدون إليهم الخراج فيؤمنونهم.** وفي الكلام اختصار، والمعنى: إلا أن يعتصموا بحبل من الله، فحذف، قاله الفراء.

الحسن بن محمد النيسابوري (ت 850 هـ)

والمعنى ضربت عليهم الذلة والهوان في عامة الأحوال بالقتل والسبي والنهب أينما وجدوا إلا معتصمين أو متلبسين أي إلا في حال اعتصامهم { بحبل من الله وحبل من الناس } **يعني ذمة الله وذمة المسلمين، فهما في حكم واحد** أي لا عزلهم قط إلا هذه الواحدة وهي التجاؤهم إلى الذمة بقبول الجزية، فحينئذٍ يكون دمهم محقوناً ومالهم مصوناً وهو نوع من العزة وقيل: **حبل الله الإسلام، وحبل الناس الذمة.** فعلى هذا يكون الواو بمعنى " أو ". وقيل: **ذمة الله الجزية المنصوص عليها، وذمة الناس ما يزيد الإمام عليها أو ينقص بالاجتهاد.** وإنما صح الاستثناء المفرغ من الموجب نظراً إلى المعنى لأن ضرب الذلة عليهم معناه لا تنفك عنهم. ... {وضربت عليهم المسكنة } عن الحسن أن المراد بها الجزية، وإنما أفردت بالذكر بعد الاستثناء ليعلم أنها باقية غير زائلة بعد اعتصامهم بالذمة. **وقال آخرون: المراد أنك لا ترى منهم ملكاً قاهراً ولا رئيساً مطاعاً، لكنهم مستخفون في جميع النواحي والأكناف، يظهرون من أنفسهم الفقر والمدقعة ألبتة.**

برهان الدين البقاعي (ت 885 هـ)

لما أخبر عنهم سبحانه وتعالى بهذا الذل أتبعه الإخبار بأنه في كل زمان وكل مكان معاملة منه لهم بضد ما أرادوا، فعوضهم عن الحرص على الرئاسة إلزامهم الذلة، وعن الإخلاد إلى المال إسكانهم المسكنة، وأخبر أن ذلك لهم طوق الحمامة غير مزائلهم إلى آخر الدهر باق في أعقابهم بأفعالهم هذه التي لم ينابذهم فيها الأعقاب فقال سبحانه وتعالى مستأنفاً: {ضربت عليهم الذلة} وهي الانقياد كرهاً، وأحاطت بهم كما يحيط البيت المضروب بساكنه

{ أينما ثقفوا } أي وجدهم **من هو حاذق خفيف فطن في كل مكان وعلى كل حال** {إلا} حال كونهم معتصمين **{بحبل} أي عهد وثيق مسبب للأمان، وهو عهد الجزية وما شاكله** {من الله} أي الحائز لجميع العظمة **{وحبل من الناس} أي قاطبة: الذين آمنوا وغيرهم،** موافقٍ لذلك الحبل الذي من الله سبحانه وتعالى. ... والآية دليل على مؤاخذة الابن الراضي بذنب الأب وإن علا، وذلك طبق ما رأيته في ترجمة التوراة التي بين أيديهم الآن، قال في السفر الثاني: وقال الله سبحانه وتعالى جميع هذه الآيات كلها: أنا الرب إلهك الذي أصعدتك من أرض مصر من العبودية والرق، لا تكون لك آلهة أخرى، لا تعملن شيئاً من الأصنام والتماثيل التي مما في السماء فوق وفي الأرض من تحت، ومما في الماء أسفل الأرض، لا تسجدن لها ولا تعبدنها، لأني أنا الرب إلهك إله غيور، أجازي الأبناء بذنوب الآباء إلى ثلاثة أحقاب وأربعة خلوف، وأثبت النعمة إلى ألف حقب لأحبائي وحافظي وصاياي

ابن عجيبة الحسني الإدريسي الفاسي– الصوفي – (ت 1224 هـ)

قلت: الاستثناء في قوله { إلا بحبل } من أعم الأحوال أي: ضربت عليهم الذلة في جميع الأحوال إلا متلبسين **بذمة من الله وذمة من الناس.** وهذه الآية من المُغيبات التي وافقها الواقع، إذ كان كذلك في بني قريظة وبني النضير

وبني قينقاع وخيبر، فلم تُرْفع لهم راية أبداً، بل { ضُربت عليهم الذلة } والخزي والهوان أي: أحاطت بهم إحاطة البيت المضروب على أهله أو لزمتهم لزوم الدرهم المضروب لضربه، فلا تنفك عنهم أينما ووُجدوا فلا يأمنون { إلا بحبل من الله } أي: **بسبب عهد من الله، وهو عقد الذمة التي أمر الله بها، إذا أدوا الجزية للمسلمين فلهم حرمة بسبب هذا العقد، فلا يجوز التعرض لهم في مال ولا دم ولا أهل. { وحبل من الناس } وهو عقد الذمة التي يعقدها مع الكفار إذا كانوا تحت ذمتهم.** والحاصل أن الذلة لازمة لهم فلا يأمنون إلا تحت الذمة، **إما من المسلمين وإما من الكفار** .

محمد رشيد رضا (ت 1354 هـ)

قيل: إن المعنى " إلا بعهد " أو سبب يأمنون به في بلاد الإسلام كما قال ابن جرير، وقيل: السبب من الله الإسلام، والسبب من الناس العهد أو **التأمين.** واختار الرازي أن الحبل من الله هو الجزية أي الذمة التي تحصل بقبولهم دفع الجزية. والحبل من الناس هو ما فوض إلى ما رأى الإمام فيزيد فيه تارة وينقص بحسب الاجتهاد. وقال الأستاذ الإمام: أي أن حالهم معكم أن يكونوا أذلاء مهضومي الحقوق رغم أنوفهم إلا بحبل من الله وهو ما قررته شريعته لهم إذ دخلوا في حكمكم من المساواة في الحقوق والقضاء وتحريم إيذائهم وهضم شيء من حقوقهم. **وحبل من الناس وهو ما تقتضيه المشاركة في المعيشة من احتياجكم إليهم واحتياجهم إليكم في بعض الأمور.** أي فهذا القدر المستثنى من عموم الذلة لم يأتهم من أنفسهم وإنما جاءهم من غيرهم. فهم لا عزة لهم في أنفسهم لأن السلطان والملك قد فقدا منهم. وأنت ترى أن هذا الذي قاله الأستاذ الإمام أظهر وأشد انطباقا على الواقع، فلقد كان النبي ﷺ يحسن معاملتهم ويقترض منهم، وكذلك كان الخلفاء الراشدون يفعلون. وقضية علي مع اليهودي عند عمر مشهورة، وفيها أن عليا أنكر على عمر مخاطبته أمام خصمه اليهودي بالكنية، وفيها تعظيم ينافي المساواة بينهما. ..

عبد الرحمان بن ناصر السعدي – عالم سعودي – (1376 هـــ)

ولهذا أخبر تعالى أنه عاقبهم **بالذلة في بواطنهم والمسكنة على ظواهرهم**، فلا يستقرون ولا يطمئنون{ إلا بحبل } أي: **عهد {** من الله وحبل من الناس } فلا يكون اليهود **إلا تحت أحكام المسلمين وعهدهم، تؤخذ منهم الجزية ويستذلون، أو تحت أحكام النصارى.**

سيد بن قطب بن إبراهيم (ت1387 هـــ)

ذلك أنه قد (ضربت عليهم الذلة) وكتبت لهم مصيرا. فهم في كل أرض يذلون لا تعصمهم إلا ذمة الله وذمة المسلمين – حين يدخلون في ذمتهم فتعصم دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، وتنيلهم الأمن والطمأنينة – ولم تعرف يهود منذ ذلك الحين الأمن إلا في ذمة المسلمين. ولكن يهود لم تعاد أحدا في الأرض عداءها للمسلمين !.... . فما كانت معركة بين المسلمين وأهل الكتاب إلا كتب الله فيها للمسلمين النصر – ما حافظوا على دينهم واستمسكوا بعقيدتهم، وأقاموا منهج الله في حياتهم – **وكتب لأعدائهم المذلة والهوان إلا أن يعتصموا بذمة المسلمين أو أن يتخلى المسلمون عن دينهم.**

ويكشف القرآن عن سبب هذا القدر المكتوب على يهود. فإذا هو سبب عام يمكن أن تنطبق آثاره على كل قوم، مهما تكن دعواهم في الدين: إنه المعصية والاعتداء: (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله، ويقتلون الأنبياء بغير حق. ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون). فالكفر بآيات الله – سواء بإنكارها أصلا، أو عدم الاحتكام إليها وتنفيذها في واقع الحياة – وقتل الأنبياء بغير حق. وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس كما جاء في آية أخرى في السورة – والعصيان والاعتداء... هذه هي المؤهلات لغضب الله، وللهزيمة والذلة والمسكنة. وهذه هي المؤهلات التي تتوافر اليوم في **البقايا الشاردة في الأرض من ذراري المسلمين.** الذين يسمون أنفسهم –

بغير حق – مسلمين ! هذه هي المؤهلات التي يتقدمون بها إلى ربهم اليوم، فينالون عليها كل ما كتبه الله على اليهود من الهزيمة والذلة والمسكنة. فإذا قال أحد منهم: لماذا نغلب في الأرض ونحن مسلمون ؟ فلينظر قبل أن يقولها: ما هو الإسلام، ومن هم المسلمون ؟

محمد الطاهر بن عاشور – مالكي – (ت 1393 هـ)

وقوله { إلا بحبل من الله وحبل من الناس } **الحبل مستعار للعهد.** .. **وعهد الله ذمّته، وعهد النَّاس حلفهم، ونصرهم،** والاستثناء من عموم الأحوال. وهي أحوال دلّت عليها الباء التي للمصاحبة. والتَّقدير: ضربت عليهم الذلّة متلبِّسين بكُلّ حال إلاّ متلبّسين بعهد من الله وعهد من النَّاس، فالتَّقدير: فذهبوا بذلّة إلاّ بحبل من الله.

والمعنى لا يسلمون من الذلّة إلاّ إذا تلبَّسُوا بعهد من الله أي **ذمّة الإسلام** أو إذا استنصروا **بقبائل أولى بأس شديد،** وأمّا هم في أنفسهم فلا نصر لهم. وهذا من دلائل النُّبوّة، فإنّ اليهود كانوا أعزّة بيثربَ وخيبر والنضير وقريظة، فأصبحوا أذلّة، وعمَّتهم المذلّة في سائر أقطار الدنيا.

أبو زهرة محمد احمد مصطفى (ت 1394 هـ)

ولقد استثنى سبحانه حالا يرتفعون فيها من الذلة فقال تعالى: { إلا بحبل من الله وحبل من الناس }. والحبل معناه في أصل اللغة ما يربط بين شيئين، ويطلق على العهد. **وقد فسره جمهور المفسرين هنا بهذا المعنى وهو العهد.** فالمعنى لا ترفع الذلة عن هؤلاء اليهود إلا بعهد من الله تعالى وعهد من الناس. وذلك العهد هو عقد الجزية الذي يربط بينهم وبين المسلمين، فهو حبل من الله تعالى يصلهم بأهل الإيمان إذ هي بأمر الله تعالى، والوفاء بها وفاء بعهد الله ورسوله. ... والجزية أيضا حبل يربطهم بالمؤمنين إذ يكونون بهذا العهد بين المسلمين، ترعى حقوقهم وتحفظ أموالهم

ودماؤهم، ويكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم. **وهذا تفسير حسن،** وهو مشتق من قواعد الإسلام ذاتها وأحكامه المقررة الثابتة، ولكن يلاحظ **أن الله سبحانه قرر الاستثناء بان حبل العزة هو حبل من الناس، ولم يذكر انه حبل من المؤمنين. ... ولذلك يصح أن نفسره بما هو أعم من الجزية. فإن حبل الناس أوسع من معنى الجزية، وإن ذلك يفسره بعض الوقائع التي تجري في العصور الأخيرة، فقد كانت لهم عزة وقتية بسبب اتصالهم ببعض الناس، وتخاذل المسلمين عن الأخذ بحكم الكتاب والسنة والهدى الإسلامي، ولكنه على كل حال استثناء** ؛ لأن الله ضرب عليهم الذلة، وإنه ليرجى أن يعود الإسلام كما بدأ في قلوب أهله، فيتحقق وعد الله لهم، إذا تحققت أسبابه.

محمد جواد مغنية – مفسر شيعي – (1400 هـ)

إن الذي أفهمه من ذل اليهود وهوانهم الذي عنته الآية أنهم مشتتون في شرق الأرض وغربها، وموزعون بين الدول مع الأقليات، فهم دائما تابعون غير متبوعين، ومحكومون غير حاكمين في دولة منهم ولهم، مستقلة لها كيانها وشأنها بين الدول. أما إسرائيل التي قامت أخيرا في تل أبيب فإنها دولة في الاسم فقط، أما في الواقع فهي قاعدة من قواعد الاستعمار، تماما كمطاراته وثكناته العدوانية. وقد ظهرت هذه الحقيقة بأوضح معانيها بعد عدوان إسرائيل على الأراضي العربية في 5 حزيران سنة 1967. لقد أوجد الاستعمار إسرائيل ليتخذها أداة لتحقيق مآربه، ولو تخلى عنها يوما واحدا لتخطفها العرب من كل جانب.. وهذا هو الذل والهوان بعينه. لأن العزيز يستمد قوته من نفسه، ويذود عن كيانه بساعده، لا بسواعد الناس. وبهذا يتبين أن المراد بحبل من **الناس المساعدات المادية والمعنوية التي تمد الدول الاستعمارية** بها قاعدتها الاستعمارية إسرائيل، ومن أجل هذا نؤمن إيمانا لا يشوبه ريب بأن دولة إسرائيل ستزول بزوال الاستعمار لا محالة. والاستعمار في طريقه إلى الزوال آجلا أو عاجلا، وليس هذا القول مجرد أمنية، وإنما هو نتيجة حتمية لمنطق

الحوادث. .. كما جاء في الحديث النبوي: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود. .. وإن الحجر ليقول أي بلسان الحال يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله). أما حبل الله فهو كناية عن **مشيئته تعالى**، أي أن اليهود يلازمهم الذل والهوان إلا أن يشاء الله، فهو تماما كقوله تعالى: { النار مثواهم خالدين فيها إلا أن يشاء الله }. ... **ولك أن تسأل:** أن غير اليهود من الأمم والطوائف قد كفروا بآيات الله، وقتلوا الأبرياء، وعصوا، واعتدوا، ومع ذلك لم يضرب الله عليهم الذلة والمسكنة، فما هو السر لتخصيص اليهود ؟

الجواب: أن الإنسان قد يطغى، بل ويتمادى في الطغيان بدافع من مصلحته ومنافعه. أما أن يطغى لا لشيء إلا حبا في الغي والطغيان، أما هذا فلم يعهد من أحد إلا من اليهود فقط. .. وهذا الشغف بالظلم والبغي من صميم دين اليهود وعقيدتهم، فهم يعتقدون أن الله معهم دون غيرهم، بل ضد كل دين اليهود وعقيدتهم، فهم يعتقدون أن الله معهم دون غيرهم، بل ضد كل من عداهم، وانه ما خلق الناس إلا من أجلهم، وإلا لكي يفعلوا بهم ما يشتهون، تماما كما يفعل الإنسان بالحيوان، ولا شيء أدل على ذلك من سيرتهم قديما وحديثا، بخاصة فظائعهم في فلسطين، وبصورة أخص ما فعلوه في دير ياسين من ذبح النساء والأطفال. لقد كانوا من قبل يقتلون الأنبياء يوم كان في الدنيا أنبياء. أما اليوم فيقتلون المصلحين، والنساء والأطفال، لأن المهم في عقيدتهم، وحسب فطرتهم هو قتل الأبرياء أنبياء كانوا أو مصلحين أو أطفالا لا فرق. وبالجملة فإن الكفر بآيات الله، وقتل المصلحين والأبرياء، والبغي والاعتداء، كل ذلك وما إليه دين وعقيدة لليهود، فإن ارتكب اليهودي جريمة بحق غير اليهودي فإنما يرتكبها تلذذا وإشباعا لرغبته، لا سدا لحاجته، وإذا كف فإنما يكف خوفا، لا تعففا، وهذا هو وجه الفرق بين اليهود وغيرهم، فلا غرابة إذا جازاهم الله بالذل والهوان أينما ثقفوا.

محمد متولي شعراوي (ت 1419 هـ)

قول الحق: { إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ } إنهم لا يعانون من الذلة في حالة وجود عهدٍ من الله أو عهد من **أناس أقوياء** أن يقدموا لهم الحماية: فلما كانوا في عهد الله أولاً وعهد رسوله ساعة دخل رسول الله ﷺ المدينة وأعطاهم العهد فكانوا آمنين. ولما خانوا العهد، ولم يُوفوا به ؛ ماذا حدث ؟ ضُربت عليهم الذلة مرة أخرى.... **لقد أخذوا العهد من الله من خلال من له الولاية على الناس،** فالرسول في عهده كان قائما على أمر المسلمين، وكذلك يكون الأمر معهم في ظل القائمين على أمر الإسلام، ويحدث هذا عندما تسير الأمور بمنهج الإسلام

أما عن حبل الناس فذلك **لأنهم لا يملكون أي عزة ذاتية،** إنهم دائما في ذلة إلا أن يبتغوا العزة من جانب عهد وحبل من الله، أو من جانب حماية من الناس. **ونحن نراهم على هذا الحال في حياتنا المعاصرة، لا بد لهم من العيش في كنف أحد ؛ لذلك فعندما حاربنا " إسرائيل " في حرب أكتوبر، انتصرنا عليهم إلى أن تدخلت أمريكا بثقلها العسكري.** إذن لو كانت الحرب بيننا وبينهم فقط لانتهت قوتهم ؛ فهم بلا عزة ذاتية، وتكون لهم عزة لو كانوا في جانب حبل من الله، أو حبل من الناس. يقول الحق سبحانه عنهم من بعد ذلك: { وَبَآءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ } ولنا أن نلاحظ أن الذلة لها استثناء، فهم ينالون العزة لو كانوا بجانب حبل من الله أو حبل من الناس، أما المسكنة، فلا استثناء فيها، وقد قال الحق عنهم في موضع آخر في القرآن الكريم: ﴿**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ**﴾[1]. **لأن المسكنة أمر ذاتي في النفس، إنهم مساكين بأمر من الله، أما الذلة فقد يأتي لهم من ينصرهم ويقف بجانبهم ؛ فالذلة أمر من خارج، أما المسكنة فهي في ذاتيتهم، وعندما تكون المسكنة ذاتية، فلا إنقاذ لهم منها ؛ لأنه لا حبل من الله يأتيهم فينجيهم منها، ولا حبل من الناس يعصمهم من آثارها.**

[1]– سورة البقرة: 61.

إن الظروف الموضوعية التي تحيط بحركة الحياة، ربَّما تفسح المجال للذليل أن يكون عزيزاً، وللضعيف أن يكون قوياً، لا من جهة العزّة والقوّة الداخليتين، بل من جهة ضعف الآخرين، ووقوفهم في مواقع الذِّلَّة، وبذلك تمتد لهؤلاء الفرصة (إلاَّ بحبل من اللّه) في ما تقدّره من ارتباط المسبّبات بأسبابها، (وحبل من النَّاس) في ما يهيّئونه لهم من وسائل القوّة الخارجية السياسية والعسكرية وغير ذلك. ومن هنا لا تبقى أمامنا مشكلة الواقع الذي يعيشه اليهود الآن في سيطرتهم على مقدرات العالم السياسيّة والماليّة من خلال ما استطاعوا أن يحصلوا عليه من مراكز القوى في مختلف أنحاء العالم، الأمر الذي أدّى إلى سيطرتهم على أرض فلسطين وتشريدهم أهلها منها ؛ فإنَّ ذلك كان من خلال المعادلات السياسيّة العالميّة التي تمكنوا من استغلالها واللعب على تناقضاتها بمختلف أساليب اللف والدوران، التي كانت تصل بهم إلى أهدافهم من مواقع إثارة حالة الاضطهاد التي عانوها، ما جعل العالم الأوروبي يعيش عقدة الذنب تجاه مشكلتهم... هذا بالإضافة إلى ضعف المسلمين وانسحابهم من الساحة وتخاذلهم وابتعادهم عن القاعدة الفكرية التي تمنحهم قوّة الروح والموقف ؛ ما جعل كلّ فئةٍ تعيش مشاكلها الخاصّة بعيداً عن مشاكل بقية المسلمين، وذلك من خلال الحدود والشخصيات المصطنعة التي وضعت لكلّ جماعة منهم، فلم يواجهوا المخططات اليهودية بوجهٍ واحد قويّ، بل واجهوها بالأساليب المهزومة الضعيفة ؛ وربَّما حاول الكثيرون منهم أن يشاركوا في دعم تلك المخططات لحساب القوى الاستعمارية الكافرة التي يرتبطون بها سياسياً واقتصادياً وعسكرياً...

إنَّ خلاصة الفكرة القرآنية هي أنَّ اليهود شعب معقّد معزول عن العالم من خلال العقد التاريخية والجرائم الكثيرة التي قام بها تجاه الحياة في مقدساتها وقضاياها... فلا يمكن له أن يستقل ويتقدّم ويأخذ بأسباب العزّة من ناحية ذاتية، بل لا بُدَّ في ذلك من وجود ظروف للآخرين تسهّل لهم مهمة القفز إلى المواقع التي تركها الآخرون أو سهلوا لهم أمر السيطرة عليها.

فإن قال قائل: إنهم الآن أصحاب جاه وسلطان، بعد أن أنشأوا دولتهم بفلسطين!!

والجواب: أنهم مع قيام هذه الدولة يعيشون تحت حماية غيرهم من دول الكفر الكبرى. فهي التي تحميهم وتمدهم بأسباب الحياة والقوة، فينطبق على هذه الحالة – أيضاً – أنها بحبل من الناس. فاليهود لا سلطان لهم، ولا عزة تكمن في نفوسهم، ولكنهم مأمورون مسخرون أن يعيشوا في تلك البقعة من الأرض لتكون مركزا لتلك الأمم التي تعهدت بحمايتهم ما استطاعوا من قوة لقتال أعداء الله وأعدائهم.

الخـــلاصـــة

من خلال تتبع كلام المفسرين في معنى الآية السالف ذكرها من سورة آل عمران يمكن أن نسجل الملاحظات الآتية:

– المراد بحبل الله عند المتقدمين هو عهد الله، وهو الجزية، وهو ذمة الله. وعند المتأخرين هو مشيئة الله، وهو الإسلام.

– المقصود بحبل الناس عند المتقدمين هو عهد المؤمنين والمسلمين، وعند المتأخرين هو سبب الناس قاطبة، وهو سبب الكفار، وهو سبب النصارى، وهو تخلي المسلمين عن دينهم، وهو سبب ذراري المسلمين، وهو سبب الأحلاف والمناصرين، وهو سبب قبائل أولي بأس شديد، وهو سبب المساعدات المادية والمعنوية التي تمدها الدول الاستعمارية.... وقيل: ذمة الله الجزية المنصوص عليها، وذمة الناس ما يزيد الإمام عليها أو ينقص بالاجتهاد.

– الذلة والمسكنة عند المتقدمين تعنى مطلق المهانة والحقارة التي لا تفارق اليهود إلا في حالة الاستثناء بدعم خارجي، وعند المتأخرين هي مطلق الهزيمة المادية والمعنوية التي تضرب على كل من أعرض عن ذكر ربه وفشل في حسن استثمار السنن الكونية المعتمدة في قواعد التدافع الحضاري. وقد ميز الشيخ الشعراوي بين الذلة والمسكنة فجعل الذلة أمرا خارجيا عن الذات وجعل المسكنة أمرا ذاتيا داخليا.

بيان الآية الثانية (سورة النساء: 141)

قال عز وجل: ﴿**ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾**﴾.

ابن جرير الطبري– مجتهد متحرر– (ت 310)

وأما قوله: { فاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللّهُ للكافِرِينَ على المُؤمِنِينَ سَبِيلاً } فلا خلاف بينهم في أن معناه: **ولن يجعل الله للكافرين يومئذٍ على المؤمنين سبيلاً**

أبو بكر الجصاص– الحنفي – (ت 370هـ)

قوله تعالى: { وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى المُؤْمِنِينَ سَبِيلاً } رُوي عن عليّ وابن عباس قالا: " **سبيلاً في الآخرة** " وعن السدي: " ولن يجعل الله لهم عليهم **حجة**، يعني فيما فعلوا بهم من قتلهم وإخراجهم من ديارهم فهم في ذلك ظالمون لا حجة لهم فيه ".

ابن العربي المعافري– مالكي – (ت 543)

الْآيَةُ السَّادِسَةُ وَالْخَمْسُونَ: قَوْله تَعَالَى: { وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا }.

هَذَا خَبَرٌ، وَالْخَبَرُ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ بِخِلَافِ مُخْبَرِهِ، وَنَحْنُ نَرَى الْكَافِرِينَ يَتَسَلَّطُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي بِلَادِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ. فَقَالَ الْعُلَمَاءُ فِي ذَلِكَ قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا فِي **الْحُجَّةِ**، فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ.

الثَّانِي: لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا فِي **الْحُجَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.** قَالَ الْقَاضِي: أَمَّا حَمْلُهُ عَلَى نَفْيِ وُجُودِ الْحُجَّةِ مِنْ الْكَافِرِ عَلَى الْمُؤْمِنِ فَذَلِكَ ضَعِيفٌ ؛ لِأَنَّ وُجُودَ الْحُجَّةِ لِلْكَافِرِ مُحَالٌ، فَلَا يَتَصَرَّفُ فِيهِ الْجَعْلُ بِنَفْيٍ وَلَا إثْبَاتٍ. وَأَمَّا نَفْيُ وُجُودِ **الْحُجَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَضَعِيفٌ** ؛ لِعَدَمِ فَائِدَةِ الْخَبَرِ فِيهِ ؛ وَإِنْ أَوْهَمَ صَدْرُ الْكَلَامِ مَعْنَاهُ ؛ لِقَوْلِهِ: { فَاَللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } فَأَخَّرَ الْحُكْمَ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَجَعَلَ الْأَمْرَ فِي الدُّنْيَا دُولَةً تَغْلِبُ الْكُفَّارُ تَارَةً وَتُغْلَبُ أُخْرَى بِمَا رَأَى مِنْ الْحِكْمَةِ وَسَبَقَ مِنْ الْكَلِمَةِ، ثُمَّ قَالَ: { وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا}. فَتَوَهَّمَ مَنْ تَوَهَّمَ أَنَّ آخِرَ الْكَلَامِ يَرْجِعُ إلَى أَوَّلِهِ، وَذَلِكَ يُسْقِطُ فَائِدَتَهُ. وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ:

الْأَوَّلُ: لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا يَمْحُو بِهِ دَوْلَةَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُذْهِبُ آثَارَهُمْ، وَيَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: وَدَعَوْت رَبِّي أَلَّا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ فَأَعْطَانِيهَا.

الثَّانِي: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يَجْعَلُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا مِنْهُ إلَّا أَنْ تَتَوَاصَوْا بِالْبَاطِلِ، وَلَا تَتَنَاهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ، وَتَتَقَاعَدُوا عَنْ التَّوْبَةِ ؛ فَيَكُونُ تَسْلِيطُ الْعَدُوِّ مِنْ قِبَلِكُمْ ؛ **وَهَذَا نَفِيسٌ جِدًّا.**

الثَّالِثُ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يَجْعَلُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا بِالشَّرْعِ ؛ فَإِنْ وُجِدَ ذَلِكَ فَبِخِلَافِ الشَّرْعِ.

أبو الفرج عبد الرحمان بن الجوزي– حنبلي – (ت 597)

قوله تعالى: { وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً } فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه لا سبيل لهم عليهم **يوم القيامة**، روى يُسيْع الحضرمي عن علي بن أبي طالب أن رجلا جاءه، فقال: أرأيت قول الله عز وجل: { وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً } وهم يقاتلوننا فيظهرون ويقتلون، فقال: ولن يجعل الله للكافرين يوم القيامة على المؤمنين سبيلا. هذا مروي عن ابن عباس، وقتادة.

والثاني: أن المراد بالسبيل: الظهور عليهم، يعني: أن المؤمنين هم الظاهرون، والعاقبة لهم، وهذا المعنى في رواية عكرمة، عن ابن عباس.

والثالث: أن السبيل: الحجة

فخر الدين الرازي– شافعي – (ت 606)

{ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا } وفيه ثلاثة أقوال:

الأول وهو قول علي عليه السلام وابن عباس رضي الله عنهما: أن المراد به في القيامة بدليل أنه عطف على قوله { فالله يحكم بينكم يوم القيامة }

الثاني: أن المراد به في الدنيا ولكنه مخصوص بالحجة، والمعنى أن حجة المسلمين غالبة على حجة الكل، وليس لأحد أن يغلبهم بالحجة والدليل.

الثالث: هو أنه عام في الكل إلا ما خصه الدليل.

ابن كثير– حنبلي – (ت 774)

ذكر ما ذكره ابن جرير الطبري، ونقل بتصرف من الوجه الأول عند ابن العربي المعافري { وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا } قال: ذاك يوم القيامة. وكذا روى السدي عن أبي مالك الأشجعي: يعني يوم القيامة. وقال السدي: { وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا } أي: حجة. ويحتمل أن يكون المراد: { وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا } أي: في الدنيا، بأن يُسَلَّطُوا عليهم استيلاء استئصال بالكلية، وإن حصل لهم ظفر في بعض الأحيان على بعض الناس، فإن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى:

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلأَشْهَٰدُ ۝ يَوْمَ لاَ يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوۤءُ ٱلدَّارِ ۝﴾[1]. وعلى هذا فيكون ردا على المنافقين فيما أملوه وتربصوه وانتظروه من زوال دولة المؤمنين، وفيما سلكوه من مصانعتهم الكافرين، خوفا على أنفسهم منهم إذا هم ظهروا على المؤمنين فاستأصلوهم، كما قال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوَ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيۤ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ۝﴾[2] .

الطاهر بن عاشور – مالكي – (ت 1394)

قوله: { ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً } تثبيت للمؤمنين، لأنّ مثل هذه الأخبار عن دخائل الأعداء وتألّبهم: من عدوّ مجاهر بكفره. وعدو مصانع مظهر للأخوّة، وبيان هذه الأفعال الشيطانية البالغة أقصى المكر والحيلة، يثير مخاوف في نفوس المسلمين وقد يُخيِّل لهم مَهاوي الخيبة في مستقبلهم. فكان من شأن التلطّف بهم أن يعقّب ذلك التحذير بالشدّ على العضد، والوعد بحسن العاقبة، فوَعدهم الله بأن لا يجعل للكافرين، وإن تألّبت عصاباتهم واختلفت مناحي كفرهم، سبيلاً على المؤمنين.

والمراد بالسبيل طريق الوصول إلى المؤمنين بالهزيمة والغلبة، بقرينة تعديته بعَلَى، ولأنّ سبيل العدوّ إلى عدوّه هو السعي إلى مضرّته، ولو قال لك الحبيب: لا سبيل إليك، لتحسّرت ؛ ولو قال لك العدوّ: لا سبيل إليك لتهلّلت بشراً، فإذا عُدّي بعلى صار نصاً في سبيل الشرّ والأذى، **فالآية وعد محض دنيوي، وليست من التشريع في شيء، ولا من أمور الآخرة في شيء لنبوّ المقام عن هذين.**

---

[1]– سورة غافر: 51 – 52.

[2]– سورة المائدة: 52.

فإن قلت: إذا كان وعداً لم يجز تخلّفه. ونحن نرى الكافرين ينتصرون على المؤمنين انتصاراً بيّناً، وربما تملّكوا بلادهم وطال ذلك، فكيف تأويل هذا الوعد. **قلتُ: إن أريد بالكافرين والمؤمنين الطائفتان المعهودتان بقرينة القصّة فالإشكال زائل،** لأنّ الله جعل عاقبة النصر أيّامئذٍ للمؤمنين وقطع دابر القوم الذين ظلموا فلم يلبثوا أن ثقفوا وأخذوا وقتّلوا تقتيلاً ودخلت بقيتهم في الإسلام فأصبْحوا أنصاراً للدين ؛ وإن أريد العموم فالمقصود من المؤمنين المؤمنون الخلّص الذين تلبّسوا بالإيمان بسائر أحواله وأصوله وفروعه، ولو استقام المؤمنون على ذلك لما نال الكافرون منهم منالاً، ولدفعوا عن أنفسهم خيبة وخبالاً.

الشنقيطي (ت 1993).

قوله تعالى: { وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً 141 }.

في معنى هذه الآية أوجه للعلماء: منها: أن المعنى ولن يجعل اللَّه للكافرين على المؤمنين **يوم القيامة** سبيلاً، وهذا مروي عن علي بن أبي طالب، وابن عباس رضي اللَّه عنهم ويشهد له قوله في أول الآية: { فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ } الآية، وهو ظاهر.

قال ابن عطية: وبه قال جميع أهل التأويل، كما نقله عنه القرطبي، **وضعفه ابن العربي** زاعمًا أن آخر الآية غير مردود إلى أولها. ومنها: أن المراد بأنه لا يجعل لهم على المؤمنين سبيلاً، يمحو به دولة المسلمين ويستأصلهم ويستبيح بيضتهم، كما ثبت في «صحيح مسلم » وغيره عنه ﷺ من حديث ثوبان، أنه قال: « وإني سألت ربي ألا يهلك أمتي بسنة بعامة وألا يسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن اللَّه قد أعطاني لأمتي ذلك حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا »، ويدلّ لهذا الوجه آيات كثيرة كقوله: { إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } الآية، وقوله: { وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ }، وقوله: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنْكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض كَمَا

اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا}، إلى غير ذلك من الآيات. ومنها: أن المعنى أنه لا يجعل لهم عليهم سبيلاً إلا أن يتواصوا بالباطل ولا يتناهوا عن المنكر، ويتقاعدوا عن التوبة فيكون تسليط العدو عليهم من قبلهم، كما قال تعالى: { وَمَا أَصَابَكُمْ مّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ }.

قال ابن العربي: وهذا نفيس جدًا وهو راجع في المعنى إلى الأول ؛ لأنهم منصورون لو أطاعوا، والبلية جاءتهم من قبل أنفسهم في الأمرين. ومنها: أنه لا يجعل لهم عليهم سبيلاً شرعًا، فإن وجد فهو بخلاف الشرع. ومنها: أن المراد بالسبيل الحجّة، أي: ولن يجعل لهم عليهم حجة، ويبيّنه قوله تعالى: { وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً }، وأخذ بعض العلماء من هذه الآية الكريمة منع دوام ملك الكافر للعبد المسلم، والعلم عند اللّه تعالى.

محمد عزة دروزة (ت 1404)

قال بعضهم: إن جملة { ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا } في الآية (141) هي أيضا بالنسبة ليوم **القيامة**، غير أن هناك من قال: إن فيها بشرى للمؤمنين بالنسبة للدنيا، وأن الكفار إذا استعلوا وغلبوا المؤمنين فإنه يكون من قبيل الامتحان، وإن **النصر النهائي سيكون للمؤمنين عليهم. وهذا وجيه مؤيد بآيات كثيرة** وعد الله فيها المؤمنين والرسل بالنصر والتأييد غير أن من الحق أن نذكر أنه شرط ذلك بالإخلاص وصدق الإيمان.

محمد متولي الشعراوي(ت 1419)

" فالله يحكم بينهم يوم القيامة " أي لا معقب لحكم الله، فلا إله غيره يعقب عليه{ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا } وهذه نتيجة لحكم الله، فلا يمكن أن يحكم الله للكافرين على المؤمنين ولن يكون للكافرين حجة أو قوة أو طريق على المؤمنين. وهل هذه القضية تتحقق في الدنيا أو في الآخرة ؟ ونعلم أن الحق يحكم

في الآخرة التي تعطلت فيها الأسباب، ولكنه جعل الأسباب في الدنيا، فمن أخذ بالأسباب فنتائج الأسباب تعطيه **لأن مناط الربوبية يعطي المؤمن والكافر، فإن أخذ الكافرون بالأسباب ولم يأخذ المؤمنون بها فالله يجعل لهم على المؤمنين سبيلا وقد ينهزم المؤمنون أمام الكافرين.** والحكمة العربية تعلمنا: إياك أن تعتبر أن الخطأ ليس من جند الصواب، لأن الإنسان عندما يخطئ يصحح له الخطأ، فعندما يعلم المدرس تلميذه أن الفاعل مرفوع، وأخطأ التلميذ مرة ونصب الفاعل، فهذا يعني أنه أخذ القاعدة أولا ثم سها عنها، والمدرس يصحح له الخطأ فتلتصق القاعدة في رأس التلميذ بأن الفاعل مرفوع وهكذا يكون الخطأ من جنود الصواب والباطل أيضا من جنود الحق.

فعندما يستشري الباطل في الناس يبرز بينهم هاتف الحق وهكذا نرى الباطل نفسه من جند الحق فالباطل هو الذي يظهر اللذغة من استشراء الفساد ويجعل البشر تصرخ وكذلك الألم الذي يصيب الإنسان هو من جنود الشفاء، لأن الألم يقول للإنسان: يا هذا هناك شيء غير طبيعي في هذا المكان ولولا الألم لما ذهب الإنسان إلى الطبيب.

علينا إذن أن نعرف ذلك كقاعدة: الخطأ من جنود الصواب، والباطل من جنود الحق والألم من جنود الشفاء وكل خطأ يقود إلى صواب، ولكن بلذغة وذلك حتى لا ينساه الإنسان، وتاريخ اللغة العربية يحكي عن العلامة سيبويه، وهو من نذكره عندما يلحن أحد بخطأ في اللغة فنقول: " أغضب المخطئ سيبويه "، لأن سيبويه هو الذي وضع النحو والقواعد حتى إننا إذا أطلقنا كلمة الكتاب في عرف اللغة فالمعنى ينصرف إلى كتاب سيبويه فهو مؤلف الكتاب وسيبويه لم يكن أصلا عالم نحو بل كان عالم قراءات للقرآن، حدث له أن كان جالسا وعيبت عليه لحنة في مجلس، أي أنه أخطأ في النحو وعاب من حوله ذلك، فغضب من نفسه وحزن، وقال: والله لأجيدن العربية حتى لا ألحن فيها وأصبح مؤلفا في النحو. ومثال آخر: الإمام الشاطبي رضي الله عنه لم يكن عالم قراءات بل كان عالما في النحو وبعد ذلك جاءت له مشكلة في القراءات فلم يتعرف عليها، فأقسم أن يجلس للقراءات ويدرسها جيدا وصار من بعد ذلك شيخا للقراء، فلحنة أي غلطة هي التي

صنعت من سيبويه عالما في النحو، ومشكلة وعدم اهتداء في القراءات جعل من الإمام الشاطبي شيخا للقراء. على الرغم من أن سيبويه كان عالم قراءات والشاطبي كان رجل نحو.

وقد نجد الكافرين قد انتصروا في ظاهر الأمر على المؤمنين في بعض المواقع مثل أحد، وكان ذلك للتربية ففي " أحد " خالف بعض المقاتلين من المؤمنين رسول الله ﷺ وكانت الهزيمة مقدمة للتصويب، وكذلك كانت موقعة حنين حينما أعجبتهم الكثرة. ﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾**﴾[1]. فإن رأيت أيها المسلم للكافرين سبيلا على المؤمنين فلتعلم أن الإيمان قد تخلخل في نفوس المسلمين فلا نتيجة دون أسباب، وإن أخذ المؤمنون بالأسباب أعطاهم النتائج فهو القائل: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾[2].

حسن فضل الله – شيعي – (ت 1431)

قد حاول الفقهاء أن يتجاوزوا هذا الجو الذي يوحيه سياق الآية إلى أبعد من ذلك، فاعتبروا الآية دليلاً على إلغاء كل الالتزامات المفروضة على المسلم للكافر، أو الأوضاع القانونية التي تمثل لوناً من ألوان السلطة للكافر على المسلم... وتعدّى البعض ذلك إلى عدم جواز بيع المصحف للكافر، لأن منع سلطة الإنسان الكافر على المسلم يقتضي منع سلطته على القرآن بطريق أولى. وربما ناقش بعض الفقهاء في بعض ذلك ولا سيما بما يتعلق بالقرآن الذي أراد الله الناس من الكفار والمؤمنين أن يقرأوه أو يسمعوه لأنه يضيء عقولهم بالحق، فلا بد من العمل على تسهيل وصوله إليهم بأية وسيلة ليطلعوا عليه حتى مع وجود بعض السلبيات الناشئة عن ذلك بما يتصل بطريقة احترامه، فهو كتاب للهداية لا للتجميد في نطاق معين من الشكليات.

---

[1]– سورة التوبة: 25.

[2]– سورة الأنفال: 60.

خلاصة التأويلات:

1 – النقل المكرر عند ابن جرير والجصاص وابن العربي وابن عطية والقرطبي وابن الجوزي وفخر الدين الرازي وابن كثير.

2 – التميز بنقد القديم وعرض الجديد بالنسبة لابن العربي وابن عطية، وابن عاشور والشعراوي.

وواضح من تميزهم أنهم عرضوا واقع المسلمين على نص القرآن، فابن العربي راعى واقع المسلمين مع الصليبيين في الشام يومذاك وواقع المسلمين بالأندلس أيضا. وابن عاشور والشعراوي راعيا واقع المسلمين اليوم مع هجمة الغرب الكافر من كل حدب وصوب على المسلمين. وهذا التميز في التأويل هو الذي يرفع الإشكالات ويزيح الشكوك ويثبت الإيمان في كل عصر.

بيان الآية الثالثة: (سورة الحج: 36)

قال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾.

– ابن جرير الطبري (ت 310 هـــ).

القول في تأويل قوله تعالى: { إِنّ اللّهَ يُدَافِعُ عَنِ الّذِينَ آمَنُوَاْ إِنّ اللّهَ لاَ يُحِبّ كُلّ خَوّانٍ كَفُورٍ }.

يقول تعالى ذكره: إن الله يدفع غائلة المشركين عن الذين آمنوا بالله وبرسوله، إن الله لا يحبّ كلّ خوان يخون الله فيخالف أمره ونهيه ويعصيه ويطيع الشيطان. كَفُورٍ يقول: جَحود لنعمه عنده، لا يعرف لمنعمها حقه فيشكره عليها. وقيل: إنه عني بذلك دفع الله كفار قريش عمن كان بين أظهرهم من المؤمنين قبل هجرتهم.

أبو بكر الجصاص– الحنفي – (ت 370 هـــ)

لم يقف عليها لأنها ليست من آيات الأحكام.

ابن العربي المعافري– مالكي – (ت 543)

لم يقف عليها لأنها ليست من آيات الأحكام.

أبو الفرج عبد الرحمان بن الجوزي– حنبلي – (ت 597)

والمعنى: يدفع عن الذين آمنوا غائلة المشركين بمنعهم منهم ونصرهم عليهم. قال الزجاج: والمعنى: إذا فعلتم هذا وخالفتم الجاهلية فيما يفعلونه من نحرهم وإشراكهم، فإن الله يدفع عن حزبه. وال " خوان " فعال من الخيانة، والمعنى: أن من ذكر غير اسم الله، وتقرب إلى الأصنام بذبيحته، فهو خوان.

فخر الدين الرازي– شافعي – (ت 606)

اعلم أنه تعالى لما بين ما يلزم الحج ومناسكه وما فيه من منافع الدنيا والآخرة، وقد ذكرنا من قبل أن الكفار صدوهم أتبع ذلك ببيان ما يزيل الصد ويؤمن معه التمكن من الحج... و لم يذكر ما يدفعه حتى يكون أفخم وأعظم وأعم، وإن كان في الحقيقة أنه يدافع بأس المشركين. فلذلك قال بعده {إن الله لا يحب كل خوان كفور} فنبه بذلك على أنه يدفع عن المؤمنين كيد من هذا صفته. .. قال مقاتل: إن الله يدافع كفار مكة عن الذين آمنوا بمكة، هذا حين أمر المؤمنين بالكف عن كفار مكة قبل الهجرة حين آذوهم فاستأذنوا النبي ﷺ في قتلهم سرا فنهاهم. وهذه الآية بشارة للمؤمنين بإعلائهم على الكفار وكف بوائقهم عنهم وهي كقوله: { لن يضروكم إلا أذى} وقوله: { إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا} وقال: { إنهم لهم المنصورون} {وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب}.

أما قوله تعالى: { إن الله لا يحب كل خوان كفور} فالمعنى أنه سبحانه جعل العلة في أنه يدافع عن الذين آمنوا أن الله لا يحب صدهم، وهو الخوان الكفور أي خوان في أمانة الله كفور لنعمته.

ابن كثير– حنبلي – (ت 774)

يخبر تعالى أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه شر الأشرار وكيد الفجار، ويحفظهم ويكلؤهم وينصرهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[1] وقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾[2].

وقوله: {إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} أي: لا يحب من عباده من اتصف بهذا، وهو الخيانة في العهود والمواثيق، لا يفي بما قال. والكفر: الجحد للنعم، فلا يعترف بها.

الطاهر بن عاشور – مالكي – (ت 1394)

استئناف بياني جواباً لسؤال يخطر في نفوس المؤمنين ينشأ من قوله تعالى: {إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله} الآية، فإنه توعّد المشركين على صدّهم عن سبيل الله والمسجد الحرام بالعذاب الأليم، وبشّر المؤمنين المخبتين والمحسنين بما يتبادر منه ضد وعيد المشركين وذلك ثواب الآخرة. وطال الكلام في ذلك بما تبعه لا جرم تشوفت نفوس المؤمنين إلى معرفة عاقبة أمرهم في الدنيا، وهل يُنتصر لهم من أعدائهم أو يدّخر لهم الخير كله إلى الدار الآخرة. فكان المقام خليقاً بأن يُطَمئنَ الله نفوسهم بأنه كما أعد لهم نعيم الآخرة هو أيضاً مدافع عنهم في الدنيا وناصرهم، وحُذف مفعول {يدافع} لدلالة المقام. فالكلام موجه إلى المؤمنين، ولذلك فافتتاحه بحرف التوكيد إما لمجرد تحقيق الخبر، وإما لتتريل غير المتردد منزلة المتردّد لشدة انتظارهم النصر واستبطائهم إياه. والتعبير بالموصول لما فيه من الإيماء إلى وجه بناء الخبر وأن دفاع الله عنهم لأجل إيمانهم. وجملة {إن الله لا يحب كل خوان كفور} تعليل لتقييد

---

[1]– سورة الزمر: 36.

[2]– سورة الطلاق: 3.

الدفاع بكونه عن الذين آمنوا، بأن الله لا يحب الكافرين الخائنين، فلذلك يَدفع عن المؤمنين لردّ أذَى الكافرين: ففي هذا إيذان بمفعول { يدافع } المحذوف، أي يدافع الكافرين الخائنين

محمد عزة دروزة (ت 1404)

في هذه الآيات:

1- تطمين رباني للمؤمنين بأن الله تعالى يدافع عنهم ويحميهم، وأنه لا يمكن أن يحبّ ويسعد ويوفق الخوّانين للأمانات والعهود الكفورين بنعمة الله وألوهيته.

2- وتقرير وإيذان بأن الذين يؤذون ويقاتلون من المسلمين والذين أخرجوا من وطنهم بدون سبب مبرر إلا إعلانهم بأن ربّهم هو الله، هم في موقف المظلوم المبغى عليه، وتطمين بأن الله قادر على نصرهم لأنه آلى على نفسه أن ينصر من ينصر دينه وهو القوي العزيز الذي لا غالب له.

3- وتبرير للدفاع عن النفس إزاء الظلم والبغي: فلولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، أي إلهامه المبغى عليهم بالوقوف في وجه البغاة ومقابلتهم والدفاع عن أنفسهم لانتشر الظلم والفساد في الأرض، ولما ذكر الله أحد، ولهدمت معابده المتنوعة التي يذكر اسمه فيها من إسلامية ويهودية ونصرانية.

4- وبيان لما يترتب على نصر الله للمؤمنين وتمكينه لهم في الأرض من نتائج عظمى. فإنهم وقد آمنوا بالله وجعلوا الحق والعدل والخير هدفهم وفقا لما شرّع لهم وأوجب عليهم إذا مكّن الله لهم في الأرض وجعل لهم القوة والسلطان فيها أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر.

5- وتعقيب نهائي بسبيل توكيد تحقيق وعد الله ونصره: فإن كل شيء مسيّر بأمر الله، وإن عاقبة كل أمر هي إلى الله.

المكي الناصري (ت 1415).

تضمنت هذه الآية وعدا من الله بنصر المؤمنين، ووعيدا بخذلان الكافرين والخائنين، والخيانة هنا تصدق بالأصالة على " الخيانة الكبرى " وهي خيانة الأمانة الإلهية التي عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، مما يجب على الإنسان الوفاء به من حقوق الله وحقوق العباد في كل آن، وتصدق بالتبع على بقية صنوف وحقوق العباد في كل آن، وتصدق بالتبع على بقية صنوف الخيانات، مما يتفرع عنها ويظهر أثره في مختلف التصرفات.

خلاصة التأويلات

ابن جرير الطبري: أ- عموم الدفاع عن المؤمنين بشروط، وبه صدر وكذلك عموم الخيانة والكفران. ب- تخصيص الدفاع عن المؤمنين قبل الهجرة، نقله عن غيره.

الجصاص وابن العربي لم يقفا عندها لخلوها من الأحكام عندهما.

ابن الجوزي عموم الدفاع في كل زمان وتقييد المخالفة الشرعية ببعض أفعال المشركين وكذلك الخيانة.

الفخر الرازي اعتمد قرينة السياق المرتبط بالحج والعمرة. واعتبر الآية بشارة للمؤمنين. وعلل الدفاع عن المؤمنين بحبه لهم وبغضه للكافرين.

ابن كثير عمم دفاع الله عن المؤمنين حقا وأوجب بغض الله عز وجل لمن اتصف بالخيانة والكفر.

الطاهر بن عاشور مضمون بيانه قريب من تفسير فخر الدين الرازي.

نتائج المقارنة

بإمعان النظر في الخلاصات يتبين:

– أن بعض المفسرين يبقون النص القرآني محصورا في سبب نزوله زمانا ومكانا، أو يتوقفون عند ما قاله سلفهم ونقل عنهم، ويتجنبون مخالفتهم، والاعتراض عليهم. وبذلك يغفلون أن النص لم يترل لزمان معين ولا لمكان محدد، وخاصة مثل هاتين الآيتين. وهذه سمة أكثر المفسرين بالرواية. وهو أمر مشكل يستوجب النظر والمراجعة. فليس كل اجتهاد قديم يقدس لقدمه.

وقد سلك ابن العربي المعافري رحمه الله في الآية الأولى مسلك النقد والاعتراض والتعليل. وتابعه الطاهر بن عاشور في ذلك. وقريب منهما الفخر الرازي.

– أن بعض المفسرين يقيدون أحكاما بالزمان والمكان والوصف، ولا يوردون دليل التقييد أو التخصيص. وطبيعة النص القرآني لا تقبل تقييدا ولا تخصيصا إلا بدليل.

– أن بعض المفسرين يطنب في بيان المبين في النص، وذلك يضعف من قوة البيان ويقلل من سحر جمال القرآن وتأثيره.

– أن الاستعانة بالسياق السابق واللاحق والنظرة الكلية الدائمة لمضمون الآية تكاد تغيب عن عمل جل المفسرين.

– لم يتوسع المفسرون في بيان هاتين الآيتين، مع أن متعلقاتهما تشمل كل عصر، من حيث الظهور والغلبة والاستيلاء عند المسلمين، وعند الكافرين، وقد توسعوا في بيان بعض الفقهيات كصحة الملكية وعقد النكاح [1].

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

[1]– مشكلات المسلمين في التعامل مع القرآن المبين 105–106.

المصادر والمراجع

– القرآن الكريم.

– أصول التفسير في مقدمات كتب التفسير. سلمى داود بن إبراهيم مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية العدد: 53 رمضان 1432هـ.

– أصول التفسير وقواعده د. خالد عبد الرحمان العك/ ط2–1406هـ –1986م دار النفائس.

– "الإتقان في علوم القرآن". جلال الدين السيوطي دار الفكر – بيروت.

– إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول" الشوكاني – طبعة دار الفكر.

– إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود. دار المصحف – مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد – القاهرة

– أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي. مجمع الفقه الإسلامي. جدة.

– "البرهان في أصول الفقه". إمام الحرمين الجويني. ط 3. 1412هـ دار الوفاء المنصورة. تحقيق د. عبد العظيم الديب.

– البرهان في علوم القرآن. بدر الدين الزركشي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار التراث. 2008.

– التحرير والتنوير للعلامة محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور. طبعة الدار التونسية للنشر – تونس،

– التسهيل لعلوم التنزيل. محمد بن أحمد بن جزي. تحقيق محمد سالم هاشم. دار الكتب العلمية. 1415.

- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين/ للدكتور صلاح الدين عبد الفتاح الخالدي/ الطبعة 3/ دار القلم دمشق

- التفسير والمفسرون للدكتور محمد السيد حسين الذهبي. مكتبة وهبة، القاهرة.

- الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. دار الكتب المصرية القاهرة.

- جامع البيان في تأويل آي القرآن. ابن جرير الطبري. تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي. دار هجر للطباعة والنشر.

- دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. د زاهر بن عواض الألمعي. مطبعة النرجس. السعودية. 1428.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة شهاب الدين الألوسي تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، 1415هـ.

- صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل البخاري أبو عبد الله.. دار ابن كثير - دمشق بيروت. 1944.

- صحيح مسلم. مسلم بن الحجاج. تحقيق. نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة. دار طيبة. 2006.

- قواعد التفسير جمعا ودراسة. خالد السبت. دار ابن عفان. 2008.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. جار الله الزمخشري. دار الكتاب العربي. بيروت. 1407 هـ.

- الكليات للكفوي. تحقيق عدنان الدووس، محمد المصره. مؤسسة الرسالة بيروت.

- مباحث في علوم القرآن. مناع القطان. مكتبة وهبة. 2000 م

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد بن عطية الأندلسي تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - 1422.

- المدخل إلى التفسير الموضوعي. عبد الستار فتح الله. دار التوزيع والنشر الإسلامية. مصر. 1411 هـ

- مشكلات المسلمين مع القرآن المبين. د محمد أبياط. مطبعة بلال. 2018.

- مصطلحات نقدية وبلاغية. الدكتور الشاهد البوشيخي. طبعة دار القلم ط1995/2.

- معجم مقاييس اللغة لابن فارس.. تحقيق ع. السلام محمد هارون/ دار الفكر.

- مفاتيح الغيب. فخر الدين الرازي. دار الفكر. ط 1. 1401

- مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني. تحقيق صفوان عدنان. دار القلم. الطبعة2. 1423هـ.

- مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

- مناهل العرفان في علوم القرآن. محمد عبد العظيم الزرقاني. مطبعة عيسى البابي الحلبي. 1943.

- نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه طه جابر العلواني. دار السلام للطباعة... ط 1 /2010

- نظرات في الهدى المنهاجي في القرآن الكريم. الدكتور الشاهد البوشيخي. مطبعة أنفو برانت. فاس.

- هكذا علمتني الحياة. الشيخ مصطفى السباعي. المكتبة الإسلامية. ط 4. 1997.

فهرس الموضوعات

مقدمة 1

مقدمات علمية ومنهجية 3

علم التفسير: المفهوم والمصطلح..... 13

مفهوم العلم لغة واصطلاحا..... 14

تعريف العلم في القرآن الكريم 14

مفهوم التفسير لغة واصطلاحا..... 15

تعريف التفسير في القرآن الكريم 20

علم التفسير نشأته ومراحل تطوره..... 26

التفسير في عهد النبوة 26

التفسير في عصر الصحابة..... 30

التفسير في عصر التابعين 33

التفسير في عصر التدوين..... 36

التفسير بالمأثور مفهومه وأنواعه..... 40

مصادر التفسير بالمأثور..... 43

تفسير القرآن بالقرآن..... 43

تفسير القرآن بالسنة أو التفسير النبوي 47

تفسير الصحابي 54

تفسير التابعي 60

أشهر كتب التفسير بالأثر..... 62

التفسير بالرأي: مفهومه أنواعه مصادره..... 66

مفهوم التفسير بالرأي... 66
حكم التفسير بالرأي 68
مصادر التفسير بالرأي 75
أشهر كتب التفسير بالرأي 83
التفسير الموضوعي. مفهومه أنواعه قضاياه..... 89
مفهوم التفسير الموضوعي..... 89
أنواع التفسير الموضوعي 91
معالم منهج الدراسة المصطلحية 93
بعض المؤلفات في التفسير الموضوعي..... 103
دراسة نماذج تطبيقية 105
بيان الآية 112 من سورة آل عمران..... 106
بيان الآية 141 من سورة النساء 123
بيان الآية 36 من سورة الحج 131
نتائج المقارنة 136
المصادر والمراجع..... 137
فهرس الموضوعات 140